

شرح قصيدة البوصيري في مدح الرسول

إنّ هذه القصيدة تعدُّ من أشهر قصائد الشاعر الشهير شرف الدين البوصيري، وهي أشهر قصيدة في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كتب كثير من الشعراء لاحقاً كثير من القصائد على نهجها بنفس البحر والقافية في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يقول الشاعر في مطلعها: أمّن تدكّر جيرانِ بذي سلم مزجت دمعاً جرى من مقلّةِ بدم، وهي من القصائد الطويلة فقد بلغ عدد أبيات القصيدة 158 بيتاً، وقد نظمها الشاعر على بحر البسيط وقافية الميم المكسورة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح قصيدة:

- أمّن تدكّر جيرانِ بذي سلم
مزجت دمعاً جرى من مقلّةِ بدم
أمّ هبّت الرّيح من تلقاءِ كاظمة
وأومضَ البرقُ في الظلماءِ من إضمّ

يخاطب الشاعر نفسه في بداية القصيدة ويقول: لقد بكيت كثيراً وجرت دموعك من عينيك مخلوطة بالدم من شدة البكاء والحزن، وكل ذلك بسبب تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحاب ذي سلم وهو مكان بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، أم أنّ الذي حرك مشاعرك وأهاج أشواقك هي الرياح التي هبّت من منطقة كاظمة هناك، أو من لمعان البرق والأنوار التي تتصاعد من إضم في الليالي المظلمة.

- فما لعينيك إن قلت أكففا همّتا
وما لقلبك إن قلت استنفق بهم
أحسب الصب أنّ الحبّ منكم
ما بين منسجم منه ومضطرم

فما أعجب عينيك كلما قلت لهما كفا عن البكاء زاد تساقط الدموع منهما، وكلما قلت لقلبك أن يستيقظ من سكرته واضطرابه بجنّ شوقاً وحبّاً، وهل يعتقد العاشق المشتاق أنّه يستطيع أن يكتم هواه رغم هذه الدموع المتساقطة والنار الملتهبة فيه.

- لولا الهوى لم تُرقِ دمعاً على ظلّ
ولا أرقّت لذكر البيان والعلم
فكيف تُنكر حبّاً بعد ما شهدت
به عليك عدول الدمع والسقم

لولا الشوق الذي تحمله في داخلك لهم لم تبيك وتتساقط دموعك على آثار تلك الديار، ولم يصبك الأرق على ذكر البيان والعلم في الجزيرة، فهل يمكنك أن تنكر هذا الهوى بعد أن شهدت عليه الدموع العظيمة وكثرة البكاء والعلل التي أصابتك بسببه.

- نعم سرى طيف من أهوى فأرقتني
والحبّ يعترض اللذات بالألم
يا لايبي في الهوى العذري مغيرة
مني إليك ولو أنصفت لم تلم

إنني أقرُّ وأعترف بأنّ ما أرقتني وحرمني من النوم هو خيال من أهواهم في مكة والمدينة، وكثيراً ما يشعل الحب الآلام كما يصنع المتع والنعم، ويا من تلومونني في هذا الحب العفيف الطاهر، أعتذر إليكم فأبكم لو أنصفتم وعدلتم في حالتي وجرتموها لم تلوموني في ذلك.

- والنفس كالطفل إن تهمله شبّ على
حب الرضاع وإن تقطمه ينقطع
فلا ترم بالمعاصي كسر شهوتها
إنّ الطعام يقوي شهوة النهم

ونفس الإنسان مثل الطفل الصغير، إذا لم يتم فطامه يشب على حب الرضاع وكذلك تشب النفس على حب الشهوات، فلا تكسر تلك الشهوة بالخوض في المعاصي، لأنّ ذلك يزيد من ضلالها وانغماسها في الشهوات والمعاصي مثل كثرة الطعام التي تزيد من نهم الشخص.

- محمّد سيّد الكونين والتقلّين
والفريقين من عرب ومن عجم
هو الحبيب الذي تُرجى شفاعته
لكلّ هولٍ من الأهوال مفتحم

إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم هو سيد الإنس والجن والسموات والأرض، وهو أفضل الناس على وجه الأرض، وهو الحبيب القريب الذي نحبه ونهيم في حبه، ونرجو شفاعته في كل مصيبة أو نائبة تصيبنا أو مازق نتعرض له.

- وَأَنْسُبُ إِلَى ذَاتِهِ مَا شِئْتُ مِنْ شَرَفٍ
وَأَنْسُبُ إِلَى قَدْرِهِ مَا شِئْتُ مِنْ عَظَمٍ
فَإِنَّ فَضْلَ رَسُولِ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ
حَدٌّ فَيُعْرَبُ عَنْهُ نَاطِقٌ بِقَمٍ

فيمكنك أن تصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل صفات الشرف والعلو والرفعة، ويمكنك أن تصفه بكل صفات العظمة والجلال والمهابة، فليس هنالك حد معين لفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولن يستطيع أحد أن يصفه مهما فعل لا بشعر ولا بنثر.

- فَاقَ النَّبِيِّينَ فِي خُلُقٍ وَفِي خُلُقٍ
وَلَمْ يَدَانُوهُ فِي عِلْمٍ وَلَا كَرَمٍ
وَكَلَّهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مَلْتَمَسِينَ
غُرْفًا مِنَ الْبَحْرِ أَوْ رَشْفًا مِنَ الدَّيَمِ

لقد كانت مكانة رسول الله صلى الله عليه وسلم فوق جميع الأنبياء والمرسلين، ولن يصلوا إليه في الكرم والعلم فقد فضله الله تعالى عليهم، وكل نبي يطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ غرفة من بحار علومه وكرمه أو أن يشرب قليلاً من سحابه السخي، ولذلك وحده الذي يشفع للخلق يوم القيامة يوم يرفض جميع الأنبياء الشفاعة.

الصور الفنية في قصيدة البوصيري في مدح الرسول

ضمّت القصيدة العديد من الصور الفنية التي تزيد الصياغة جمالاً وتقدم المعاني بطرق متميزة للقراء وغير مباشرة، كما تُستخدم الصور البيانية لزخرفة النصوص وتزيينها لغوياً، ولا تخلو قصيدة من قصائد الشعر منها، ولها أنواع عديدة مثل التشبيهات والتوكيدات والاستعارات والجناس والطباق وغيرها، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في القصيدة السابقة:

- تشبيه تام: ورد في قول الشاعر: والنفس كالطفل إن تهملهُ شبَّ على حُبِّ الرِّضَاعِ وَإِنْ تَقَطَّمَهُ بَنَفْطُمِ، فالنفس هي المشبه، والطفل هو المشبه به، والكاف أداة التشبه، ووجه الشبه هو النمو على حب الرضاع.
- أسلوب الكناية: كنى الشاعر بالكثير من العبارات عن معانٍ مختلفة غير معاني الكلمات الأصلية كما في قوله: أُمُّ هَيْبَتِ الرِّيحِ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ، كنى بهذه الجملة عن تذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة البوصيري في مدح الرسول

هنالك كثير من الكلمات التي قد يجدها البعض صعبة الفهم، إذ أنّ كثير من الكلمات التي يستخدمها الشعراء في الشعر لا تستخدم في الحياة العادية بين الناس، نظراً لتطور اللغة العربية وتطور استخداماتها مع مرور عشرات القرون من الزمن، كما أنّ اللهجات العامة بين الناس تختلف عن اللغة العربية الفصحى كثيراً، وفيما يأتي سوف يتم إدراج معاني أهم المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
ذي سلم، كاظمة، إضم	أسماء مواضع في شبه الجزيرة العربية
همتا	من الهمي وهو تساقط الدموع
يهم	من الهيام وهو شدة العشق والهوى
الطلل	آثار الديار بعد رحيل أهلها
البيان والعلم	أسماء مواضع
عدول	جمع عدل وهو الشاهد المشهور بالصلاح والاستقامة
تقطمه	من الفطام وهو إيقاف الطفل عن الرضاعة
ملتمس	طالب أو سائل

من غرفة وهي ما يؤخذ براحة اليد

غرفاً

شربة صغيرة أو ماء قليل

رشف

السحب

الديم

يشبهوه أو يكونوا في مقامه

يدانوه